

مظاهر فقه الوسطية عند سعيد النورسي*

Dr. Zamakhsyari Bin Hasballah Thaib
Dharmawangsa University, Medan – Indonesia
Email: dr.zamakhsyari@dharmawangsa.ac.id, zbht84@gmail.com

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى بيان معنى الوسطية، ومعركة المصطلحات التي دارت حول هذا المصطلح، وبيان دور النورسي، رائد الفكر والمنهج الوسطي في عصره، في بلورة فقه الوسطية من خلال أعماله وكتابه في رسائل النور. إن الظروف والحالات الصعبة التي يمر بها النورسي في جهاده في نشر روح وسطية الإسلام، جعلته من أعمق المصلحين إيماناً، وأغرزهم علماء، وأصلبهم جهاداً، وأمضاهم قلباً، وأشرقهم أسلوباً، وأوسطهم رؤية. فالهدف الرئيس الذي جاهد النورسي من أجله هو تنوير الشعب وإرشاده بالحقائق الإيمانية بشكلٍ إصلاحيٍّ دون تخريب أو شدة. وينتج هذا البحث المكتبي منهج الاستقراء في استنباط مظاهر فقه الوسطية لدى النورسي، الذي يتجلى في أربعة مظاهر؛ وسطية في العقيدة الموافقة للفطرة، ووسطية في الفكر والحركة، ووسطية في المنهج، ووسطية في التجديد والاجتهاد. ويوصى البحث بضرورة مزيد من الدراسة في بلورة فقه الوسطية من حياة الأستاذ النورسي.

الكلمات المفتاحية: الوسطية، سعيد النورسي، رسائل النور.

أ. المقدمة

تعتبر الوسطية خاصية مميزة من أبرز خصائص ومميزات الإسلام، وهي وسام شرف الأمة الإسلامية، بهذه الوسطية استحققت الأمة الإسلام أن تكون شهيدة على الناس من حيث لا تشهد عليها أمة أخرى، قال الله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (البقرة: 143)

*مقالة مقدمة للمشاركة في المؤتمر الدولي عن فكر بديع الزمان سعيد النورسي حول الوسطية والمجتمع النموذجي المنعقد في كلية معارف الوحي الإسلامي بالجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا بالتعاون مع وقف الخيرات تركيا، 23 إلى 25 سبتمبر 2017 م.

كان السلف الصالح من هذه الأمة الشهيدة على الناس أشد الناس تصورا للتوسط، وفيها للشريعة والعقيدة على هذا الأساس الراسخ، لما كانوا في حياتهم اليومية أكثر الناس تمسكا بهذا الأصل، وهو التوسط بلا غلو ولا انحلال، تشهد على ذلك سيرتهم وحياتهم من أخذ بأصول الخلاف العلمي وأدبه، وبالخلق الإسلامي الرفيع.

وبعدّ النورسي واحداً من كبار علماء الأمة الإسلامية وأحد مجددتها الذين بذلوا جهوداً كبيرة في سبيل إحياء اليقظة الإسلامية ونشر مبادئ الإسلام ومواجهة موجات التغريب التي تعرض لها العالم الإسلامي خلال النصف الأول من القرن العشرين، وقد اهتم النورسي بحقائق القرآن ودراسة رسائل النور وتحقيق دساتيرها في الحياة. فهو واحد من أعلام المنهج الوسطي في العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري.

جاء هذا البحث من أجل إلقاء الضوء على مظاهر فقه الوسطية عند النورسي، من خلال النظر والتحليل على أعماله وكتابه في رسائل النور عن طريق الاستقراء. ويشتمل البحث على خمسة مباحث مع المقدمة والخاتمة؛ المبحث الأول: مفهوم الوسطية في الإسلام.

المبحث الثاني: الإسلام الوسطي والمسلم الوسطي: معركة المصطلحات.

المبحث الثالث: التعريف الموجز عن سعيد النورسي ورسائل النور.

المبحث الرابع: معالم المسلم الوسطي في القرآن والسنة.

المبحث الخامس: مظاهر فقه الوسطية عند النورسي.

ب. مفهوم الوسطية في الإسلام

إنّ كلمة "الوسطية" هي مصدر صناعي تدلّ على التمكن في الوسط. وفي اللغة تتعدّد معاني كلمة الوسط ودلالاتها، على الرغم من اتحادها في الغاية والحقيقة والمآل.

رأى ابن فارس (1979م) أنّ من معاني الوسط العدل والنصف، فأوسط الشيء أفضله وأخيره. بينما ابن منظور (د.ت) يرى بأنّ الوسط يعني التوسّط بين طرفين مذمومين، فالسخاء مثلاً وسط بين البخل والتبذير.

من خلال النظر إلى الاستعمال اللغوي لكلمة "الوسط"، يمكن التلخيص بأنّ لها إطلاقان: إطلاق ماديّ حسيّ، وإطلاق معنوي. فإطلاق ماديّ حسيّ يعني كون الشيء وسط له طرفان، مثل وسط الدار، وهذا يقع بين طرفين أو أطراف متقابلة. بينما إطلاق معنوي يعني كون الشيء أفضله وأخيره وأعدله وأجوده.

أما في الاصطلاح، فقد عرّف القرضاوي (2011) الوسطية بأنها "التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير ويترد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله ويخيف عليه."

بينما يرى ناصر العمر (د.ت) بأنه لا يصح إطلاق الوسطية إلا إذا توافرت فيها صفتان، وهي الخيرية أو ما يدلّ عليها كالأفضل والأعدل، والبيئية، سواء أكانت حسنة أو معنوية. بعبارة أخرى أن الوسطية ملازمة للخيرية. فكلّ خيرية تتضمن الوسطية، كما أن الوسطية مرتبطة بالبيئية، فكل وسطية هي بين طرفين مذمومين. ولكن، ليس كل بيئية وسطية، إذ قد يكون الشيء بين طرفين كلاهما شر. وعلى هذا، كلّ وسطية يجب أن تتضمن الخيرية والبيئية على حدّ سواء.

ت. معركة المصطلحات حول الوسطية

إنّ عصرنا اليوم هو عصر معركة المصطلحات. لقد أصبحت المصطلحات أدوات أساسية في الصراع. بل أصبح تحريف المفاهيم، واستعمال المصطلحات في غير معانيها الحقيقية خطة مقصودة، واستراتيجية خبيثة ومأكرة ومدروسة، تشكل خطورة كبرى على العقائد، والأفكار، والتصورات.

من أمعن النظر في تصريحات وعبارات التي أطلقها الساسة والمثقفون الغربيون تجاه الإسلام والمسلمين يجد أن هؤلاء أخذوا شكلين من الاستراتيجية بشأن معركة المصطلحات:

الشكل الأول: جلب ألفاظ ومصطلحات هي أعلام على معان سيئة، وإسقاطها على المعاني الشرعية، لتغيير الناس بجرس هذه الألفاظ من تلك المعاني والمفاهيم، مثل جلب مصطلح "الإرهاب" وإسقاطه على الجهاد والمقاومة المشروعة. ومثل جلب مصطلح "الظلامية"، و"الأصولية" وإسقاطه على مشروع النهضة الإسلامية ... وهكذا.

والشكل الثاني: أخذ الألفاظ السليمة والصالحة، وجعلها أعلاماً على المعاني الفاسدة؛ بغرض تسويقها وتمييزها دون أن تلتقى نفرة واعتراضاً. كإطلاق مصطلح "الحضارة" على المادية، وإطلاق مصطلح "الحرية" على الإباحية، وإطلاق مصطلح "التجديد" على هدم الأصول والعقائد والمرجعيات ... وهكذا.

فالوسطية بالنسبة للغرب الاستعماري تعني مركزية الحضارة الغربية، وهامشية بقية العالم بالنسبة لهذه الحضارة، ما يستلزم: ضرورة القابلية بالاستعمار، والخضوع والاستسلام، وترك المقاومة، والدوبان الكلي في الحالة الغربية، وألا تكون للمسلمين أية خصوصية، ناهيك عن حضارة قائمة برأسها.

الوسطية بالنسبة للطغاة من حكام المسلمين الذين يخدمون الغرب، هي السكون والركون والطاعة العمياء وعدم الإزعاج. أما مجرد الحديث عن العدل والحرية والتنمية والإصلاح ومكافحة الفساد وقد منظومة الحكم القائم؛ فهو تحريض وزعزعة الاستقرار وتشجيع على الإرهاب والتطرف.

أما الوسطية بالنسبة لمقلدي الغرب من المسلمين العلمانيين، فهي انحصار الشريعة في العلاقة الروحية بين العبد وربّه. بل العلمانية المغالية تذهب أبعد من ذلك؛ فتقول: الوسطية هي الوقوف على مسافة واحدة من التوحيد والشرك، والكفر والإيمان، والدين واللادين، والفضيلة والرذيلة.

وفي مقابل ذلك، اعتبر الغرب أن المسلم الذي يرفض الإيديولوجية الغربية كالرأسمالية والعلمانية، ويرفض الديمقراطية الليبرالية، ولا يتفاهم مع مصالح الغرب في العالم الإسلامي بأنه ليس وسطياً. بعبارة أخرى، أن المسلم الذي يتصف بالوفاء تجاه التصور الإسلامي في الحياة، والمحافظة على القيم الإسلامية، والمطالبة على تطبيق شريعة الإسلام كافة، هو جدير أن يسمى بمسلم راديكالي، أو متطرف، وليس مسلماً وسطياً في نظرهم.

من نظر في هذا الأمر، يجد أن التصنيف الغربي للمسلم حسب مصالح الغرب إنما هو تصنيف مصلحي، بعيد عن العلمية والصواب والموضوعية. الواقع يشهد أن الإسلام كلّ لا يتجزأ.

ث. التعريف الموجز عن سعيد النورسي ورسائل النور

لقد حفلت الحضارة الإسلامية عبر الزمان بالمصلحين من أعلام المسلمين. ومن هؤلاء المصلحين الذي يظهر في الوقت الحرج من تاريخ الأمة الإسلامية هو الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي. ولد النورسي في قرية «نورس» الواقعة شرقي الأناضول في تركيا العام «1294هـ - 1877م» من أبوين صالحين كان مضرب الأمثلة في التقوي والورع والصلاح.

عاش النورسي ثلاث مراحل متغيرة في حياة المجتمع التركي الذي هو آخر معقل للخلافة الإسلامية. عاصر النورسي زمن المشروطية، وزمن سيادة حزب الاتحاد والترقي، ثم عاصر العهد الجمهوري بما في كل مرحلة من تلك المراحل من متغيرات اجتماعية.

لقد شاهد النورسي كيف كانت نهاية الخلافة العثمانية منذ أن تجمعت عليها عوامل الضعف والانهيار، وألقت عليها أعداء الإسلام من دول غربية وجماعات ماسونية وصهيونية ضربات تلو أخرى، حتى لفظت أنفاسها الأخيرة على يد أبنائها غير الشرعيين من أتباع الاتحاد والترقي. كما شاهد النورسي ألعيب المستعمرين ودسائس الجماعات السرية من أجل هدم الخلافة، كما شاهد كل الجهود التي بذلها السلطان عبد الحميد الثاني، السلطان المظلوم، من أجل وقف انهيار الخلافة.

ولما كانت التحديات الأبرز التي يواجهها النورسي في عصره هي تحديات الإيمان، سخر النورسي حياته كلها في إنجاز مهمة بناء الشخصية المسلمة التي لا تتزعزع الأعاصير، فجاهد بلسانه وقلمه على الرغم من ترداده إلى السجن ظلماً طيلة حياته، فألف الرسائل الكثيرة التي تضم تفسيراً معنوياً لمعاني القرآن وسأها برسائل النور.

تعتبر رسائل النور موسوعة إيمانية رائعة كفيلاً لسدّ حاجات العصر، وهي مستقاة من فيض معاني القرآن. تتألف هذه الرسائل من أكثر من مائة وثلاثين رسالة. أغلب تلك الرسائل كتبها النورسي باللغة التركية، كما كتب جزءاً منها باللغة العربية. وهذه الرسالة مليئة بمعاني وسطية الإسلام، كما أنها شاهدة على المنهج الوسطي الذي اتبعه النورسي في حياته الدعوية والجهادية.

كل الظروف والحالات الصعبة التي يمر بها النورسي في جهاده في نشر روح وسطية الإسلام، جعلته من أعمق المصلحين إيماناً، وأغزرهم علماً، وأصلبهم جهاداً، وأمضاهم قلماً، وأشرفهم أسلوباً، وأوسطهم رؤية. فالهدف الرئيس الذي جاهد النورسي من أجله هو تنوير الشعب وإرشاده بالحقائق الإيمانية بشكلٍ إصلاحيٍّ دون تخريب أو شدة.

تجدر الإشارة إلى أن عصر النورسي هو عصر معركة الأيديولوجيات ومختلف التيارات الفكرية. شاهد النورسي تنامي فكرة الأيديولوجية التركية الطورانية التي حاولت جاهدة لتتريك اللغة، وتترك الجنس، وتترك التاريخ. كما شاهد اندسار فكرة الأيديولوجية العثمانية حينما دب الضعف على الخلافة العثمانية. وشاهد أيضاً فكرة الجامعة الإسلامية التي ظهر في عهد السلطان عبد العزيز ثم طورها السلطان عبد الحميد الثاني، ودعمها بفتح خطّ السكة الحديدية الجديدة.

تلك المعركة الفكرية بين الإيديولوجيات المختلفة جعلت النورسي ينظر إلى النظم الحاكمة في العالم بنظرة فاحصة تنسجم بالوسطية، وتدفعه إلى مناقشة الأمور المستجدة التي لم تكن محل بحث لدى كثير من علماء العصر الماضي، كموضوع المشروعية، والديمقراطية، بل موضوع الحرية، كل ذلك من وجهة نظر إسلامية. وبعده النورسي رائد الفكر والمنهج الوسطي في عصره. فقد ترك للأمة الإسلامية صبغة إسلامية وسطية في نفوس تلامذته. وأسهم من خلال فكره ومنهجه في إحياء الإسلام مجدداً في تركيا بعد أن كانت المحاولة لضمس الهوية الإسلامية والشعارات الإسلامية هي المسيطرة على الساحة.

ج. معالم المسلم الوسطي في القرآن والسنة

بين القرآن أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى مكانتها الأصلية التي هي خير أمة، ما لم تُبرز في شخصيتها معالم الوسطية. فالوسطية مظهر أساسي من مظاهر كون الإسلام رحمةً للعالمين. (ابن عاشور، 2001). هناك سمات ومعالم يجب أن يتسم بها المسلم في فكره وسلوكه وتصرفاته حتى يصبح مسلماً وسطياً في نظر القرآن والسنة، وهي:

- (1) التوسط، أي الفهم والعمل الذي ليس بإفراطٍ ولا تفريطٍ.
- (2) التوازن، أي الفهم والعمل الذي يوازن بين الدنيا والآخرة، وبين الفردية والجماعية، والقدرة على التفريق بين الانحراف والاختلاف.
- (3) الاعتدال، أي وضع كل شيء في موضعه، وأداء الواجبات واستعمال الحقوق بعدل.
- (4) التسامح، أي الاعتراف والاحترام تجاه المخالف، سواء فيما يتعلق بالجوانب الدينية أو الدنيوية.
- (5) المساواة، أي أن لا يعامل الآخرين المخالفين له في الاعتقاد والتقاليد والأصول بتفرقة وعنصرية.
- (6) الشورى، أي أن يُعالج جميع المشكلات التي يواجهها عن طريق الشورى، حيث تُقدّم المصالح الجماعية فوق المصالح الفردية.
- (7) الإصلاح، أي أن يقدم مبدأ الإصلاح من أجل الوصول إلى وضع أفضل، وأن يفتح على التغيرات التي تواكب العصر مادامت خادمة على المصالح العامة، وأن يتمسك على مبدأ المحافظة على القديم الصالح والأخذ بالجديد الأصح.

(8) **الأولوية**، أي أن يكون له قدرة على تحليل ما هو الأهم في الحياة، وترتيب كل الأمور وفق أهميتها، من أجل تطبيقها حسب أولوياتها.

(9) **التطور والابتكار**، أي أن يكون منفتحاً لقبول التغيرات التي توأكب العصر، وأن يبتكر الأشياء الجديدة التي فيها الصلاح والتطور للأمة الإنسانية.

(10) **التحصّر**، أي أن يتحلّى بالأخلاق الكريمة، وبشخصية وهوية خير الأمة في الحياة والحضارة الإنسانية. لا يمكن أن يكون أية فكرة أو أي منهج أن يسمى بفكر وسطي أو منهج وسطي إلا إذا اتسم بتلك المعالم العشرة، كما أشار إليها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ح. مظاهر فقه الوسطية عند سعيد النورسي

إنّ تطبيق معنى الوسطية في حياة المسلم لا ينحصر في جانب دون الآخر، وإنما شامل لكل جوانب الحياة. من أمعن النظر في سيرة وفكر سعيد النورسي المكتوبة في رسائل النور، يمكن أن يستنتج أن فقه الوسطية عند النورسي يتجلى في الآتي:

(1) **وسطية في العقيدة الموافقة للفطرة**

العقيدة الإسلامية متوافقة مع الفطرة السليمة، من حيث التسامح، والوضوح، والاستقامة، والتوازن، والتيسير. العقيدة الإسلامية سالمة من انحراف اليهود الذين يقولون بأن يد الله مغلولة، كما أنها سالمة من شرك النصارى الذين يقولون بأن المسيح ابن الله، كما أنها سالمة من انكار الماديين للغيبيات. (ابن عاشور، 1979).

أدرك النورسي أن الحضارة الغربية المادية الحديثة بكل منجزاتها، الذي افتتن الناس بها، ينبثق في داخل كيانها كفر وضلال وخروج على طاعة الله وتخريب لفطرة الكون والحياة والإنسان. فالإسلام في نظر النورسي آنذاك أصبح في خطرٍ ماحقٍ إيماناً وعقيدةً وشرعيةً وحضارةً ولغةً وتاريخاً. وعلى هذا، يرى النورسي أن وسطية العقيدة الإسلامية الموافقة للفطرة لا يمكن أن تتجلى في أوساط المسلمين إلا بالأمور التالية:

(أ) اتباع المنهج الاستدلالي في العقيدة، وهي "المنهج الذي يتم من خلاله العملية التي ينتقل فيها العقل من معطيات أو معلومات أو مقدمات متاحة لديه إلى نتيجة جديدة بدرجة أو بأخرى من درجة الثقة". (أحمد نور، د.ت)

(ب) معرفة وفهم مقاصد القرآن الأساسية التي تتلخص في أربع مقاصد؛ إثبات الصانع الواحد، والنبوة، والحشر الجسماني، والعدل. فهذه المقاصد الأربعة في نظره قائمة على أربع وظائف، وهي: إعلان عظمة الله، والإظهار بأن الإسلام زبدة العلوم الحقيقية، وإثبات تطابق الإسلام مع النواميس الإلهية الجارية في العالم، وتوجيه الأفكار إلى حقائق الأشياء والجث عليها والتنبيه إليها. (صيقل الإسلام: 2000م).

(ت) إزالة وقلع جذور توهم الخلاف بين العلم والدين، من خلال إعادة تفسير بعض الآيات القرآنية الذي قام بها بعض العلماء في الماضي، الذي جعل كثيراً من المسلمين في حالة انقسام فطري بين أصول العقيدة وتطور البحث العلمي. والهدف منه هو ردّ المفتنين بالتقدم المادي الهائل الذي حققته أوروبا بعلمها إلى التمسك بالإسلام مجدداً. (صيقل الإسلام: 2000م)

(ث) رد الشبهات المتعلقة بتوهم الخلاف بين العلم والدين، التي أثارها أهل الإفراط والغلو الذين ساهم النورسي الصديق الأحمق. (صيقل الإسلام: 2000م). فقد ناقش النورسي في كتابه صيقل الإسلام العديد من المسائل التي يتوهم الناس أن الدين مخالف للعلم فيها، مثل مسألة كروية الأرض، ومسألة الثور والحوت، ومسألة جبل قاف، ومسألة سدّ ذي القرنين، ومسألة الدجال التي هي من علامات الساعة.

(2) وسطية الفكر والحركة

تنعكس وسطية الإسلام في الفكر والحركة في أن العقيدة الإسلامية لا تتعارض مع الفطرة السليمة، كما أن الأعمال التعبديّة التي حث عليها الشرع دافعة وداعمة لمهمة الاستخلاف في الأرض. فالفكر الوسطي والحركة الوسطية لا تسعى إلى الهدم بل إلى البناء، كما أنها لا تسعى إلى التفريق بل إلى جمع الشمل.

اتسمت فكرة النورسي بالوسطية. ومن مظاهر وسطية النورسي في الفكر، قدرته المتميزة في التفريق بين الأمرين، من أجل تجنب الإفراط والتفريط فيه. ومن أمثلة ذلك قدرة النورسي على التفريق بين السياسة القرآنية الإيجابية وبين السياسة الشيطانية السلبية. فالسياسة القرآنية القائمة على التضحية بالأفراد من أجل سلامة الأمة، والفداء بالأشخاص حفاظاً على الجماعة، لا بد من دعمها ونشرها واتباعها. بينما السياسة الشيطانية التي أغلبها خداع وأكاذيب، ورشاوى إلى الغرب، وتنازلات سياسية ومعنوية، ينبغي الاستعاذة منها. بل ترك النورسي السياسة في العهد الثاني من حياته.

ومن مظاهر وسطيته في الفكر، على الرغم من أنه قد درس علم الكلام، ودرس الفلسفة، بل درس التصوّف في شبابه، إلا أنه استطاع أن يدرك نقاط ضعف في كل واحدة منها من أجل الوصول إلى معرفة الله، فاتجه إلى القرآن باعتباره أقرب الطرق إلى إثارة الفطرة الإنسانية، وتحريك العقول الباحثة عن الحق. قال النورسي (المثنوي العربي النوري: 2000م): "هنالك أصول أربعة للعروج إلى عرش الكمال، وهو معرفة الله عزّ وجلّ. أولها: منهج الصوفية المؤسس على تزكية النفس والسلوك الإشراقي. ثانيها: منهج علماء الكلام المبني على حدوث الإيمان في إثبات واجب الوجود. ثالثها: مسلك الفلاسفة المشوب بالشكوك والشبهات والأوهام. ورابعها وأولها: طريق القرآن الكريم الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، وجزالته الساطعة، فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهو أقصر طريق وأقربه إلى الله، وأشمله لبني الإنسان."

ومن مظاهر وسطيته في الحركة، بحثه عن نقاط الاتفاق مع الحركات الإسلامية الأخرى ودعوته إلى التعاون فيما اتفقوا فيه. فقد كتب النورسي رسالة أمر أحد تلامذته بإرسالها إلى الإخوان المسلمين في مدينة حلب، حيث قال: "بالنسبة للتهنئة التي كتبها إلى من حلب أحد أعضاء الإخوان المسلمين، فإننا بالمقابل نهئ الإخوان المسلمين من صميم قلوبنا وأرواحنا، ونقول لهم: بارك الله فيكم ألف مرة. إن طلاب النور يمثلون الاتحاد الإسلامي في الأناضول. أما في البلاد العربية فإن الإخوان المسلمين هم الذين يمثلون الاتحاد الإسلامي. إن طلاب النور والإخوان المسلمين، من بين صفوف عديدة، يشكلان صفين مترافقين ومتوافقين ضمن حزب القرآن، وضمن دائرة الاتحاد الإسلامي المقدسة، وقد سعدنا باهتمامهم الجدي برسائل النور، وبعزمهم على ترجمة بعضها إلى اللغة العربية، ونحن نحمل لهم شعور العرفان بالجميل. لذا، فأرسلوا جواباً لمن أرسل لي بطاقة التهنئة باسم جمعية الإخوان المسلمين، وأرجو منهم أن يقوموا برعاية طلاب النور ورسائل النور هناك."

تجدر الإشارة إلى أن النورسي لم يقبل الانتساب لمدرسة إسلامية فكرية محددة، بالزمن والمكان، فهو لا يؤمن بإحيائها في عصره، حتى لا يتمزق المسلمون من جديد. ففكره الإسلامي جاء شمولياً وقرآنياً، بعيد عن النظرات الضيقة، والأخطاء البشرية المتنوعة في المنهج والمعرفة. ولهذا، ظل فكر النورسي متوازناً، يتجول في أوسع دائرة تأويلية ممكنة منضبطة، دون مجازفة في تأويل النصوص تأويلاً متعسفاً بعيداً خاضعاً لضغط معارك الإقدام والإحجام من الصراع الحضاري المعاصر، بين الحضارة الإسلامية والحضارة المادية. (عبد الحميد: 1994م).

(3) وسطية في المنهج

وتتجلى هذه الوسطية فيما يلي:

a. الشمولية في وجهة النظر

يتميز النورسي عن غيره من أعلام زمانه بشمولية وجهة نظره، فهو لم ينظر إلى المسائل من أفق ضيق، ومن أجل تحقيق مصلحة قصيرة المدى فحسب. هذه الشمولية في وجهة النظر إنما هي نتيجة لكثرة ترحاله وانتقاله من مكان إلى مكان، وكثرة قراءته للكتب وتفاعله مع طوائف مختلفة من أعلام عصره، وكثرة المصاعب التي يواجهها وخطر الظروف التي يعاصرها. كل ذلك عوامل أساسية في تشكيل هذه الخاصية المتميزة في شخصيته. إلا أن العامل الأبرز لشموليته في وجهة النظر صلته الدائم وبقينه بأن للقرآن دور محمّن لحسم الخلافات المذهبية في الأحكام الفقهية.

يرى النورسي أن أركان الدين وأحكامه الضرورية التي لا خلاف فيها تشمل تسعين بالمائة من الدين، بينما المسائل الخلافية التي تختمل الاجتهاد لا تتجاوز عشرة بالمائة منه. ولهذا، الكتب الفقهية لا بدّ أن تكون شفافة لعرض القرآن وإظهاره، ولا ينبغي أن تصبح حجاباً دونه. في كتابه "صيقل الإسلام" (2000م)، بين النورسي كيف يمكن أن يوجّه أنظار العامة في الحاجات الدينية توجيهاً مباشراً إلى القرآن، وهو:

(أ) أن يوجّه النقد ضدّ العلماء السابقين، وإغفال إسهاماتهم. ولا شك أن من اختار هذا الأمر فهو ظالم، لأنه لا يشكر جهود وإسهامات من سبقه من العلماء.

(ب) أن يحوّل تلك الكتب التي تتحدث عن الخلافات الفقهية إلى تفسير القرآن، لأن كثيراً ممن يتعصبون لمذهبهم لا يعرفون أصلاً ما هي سبب اختلاف تلك المذاهب.

(ت) أن يربط علماء عصره دراسة طلابهم كلّهم بالقرآن، فالقرآن هو الأساس. وإذا وجد الاختلاف في النظر، فينبغي الرجوع إلى القرآن.

إن شمولية النورسي في وجهة النظر تتجلى واضحة حينما أرسى النورسي خمس دعائم للفكر الإسلامي، وهي العدل، والشورى، والمساواة، والحرية، والجهاد. حينما يتحدث النورسي عن المساواة بقواعدها العامة، بين

أن من ضمن قواعد المساواة، المساواة في الحقوق المدنية. حينما وُجه إلى النورسي سؤالاً كيف يمكن أن يتساوى المسلمون مع غير المسلمين في الحقوق المدنية؟ أجاب النورسي (صيقل الإسلام: 2000م): "المساواة ليست في الفضيلة والشرف، بل هي في الحقوق. فالشريعة التي نهت عن قتل نملّة، وأمرت بأن لا تداس عمداً، لم يمكن أبداً أن تهمل حقوق بني آدم."

يرى النورسي بنظرته الشمولي أن الحرب العالمية الأولى والثانية التي عاصرها لا تنبع من المفهوم الإسلامي للجهاد، فهو يستنكرها. فهي لم تكن قائمة للدفاع عن الحق، والعدل، والخير، بل كانت تشعلها رغبة في السيطرة والاستعلاء الناتجة عن القومية والعنصرية السلبية. قال النورسي (الملاحق: 2000م): "هذه الحروب المدمرة ليست لأجل إحقاق الحق وإرساء الحقيقة، ولا لأجل إعلاء شأن الدين وإقرار العدالة. والدليل على ذلك، إفناء الأبرياء من أطفال، وعوائل، وشيوخ، ومرضى، بالقنابل المدمرة بحجة وجود جندي أو اثنين من جنود الأعداء فيما بينهم."

والجدير بالذكر، يرى النورسي (صيقل الإسلام: 2000م) بنظرته الشمولي أنه لا مشاحة في مصافحة يد الكافر الذي مدها لمعاونة الإسلام، وقبول معاونة غير المسلمين، وذلك من عده وجوه؛ (أ) لا عار في ذلك، لأنّ الجندية ما هي إلا الحرب. (ب) كان للنبي معاهدون وخلفاء من مشركي العرب، وكانوا يخرجون معاً إلى الحرب. (ج) مشاركة غير المسلمين في جيش الدول الإسلامية والجيش الانكشاري. (د) إن الوظائف ليست للسيادة، بل هم خدام مأجورون.

وينظر النورسي إلى أن كلّ تغيير يحدث في الكون يخضع للسنن الكونية التي تتجلى فيها أسماء الله الحسنى. فهو يؤمن بالنظام ويرفض الفوضى، ويعتقد بالتدرج ولا يقترّب من الطفرة. فهو يدعو إلى تغيير اجتماعي منظم يتمسك بقانون التطور الفطري التدريجي، يبدأ من القاعدة ويصعد إلى القمة، لا العكس.

وبنظرة شاملة، يرى النورسي أنّ التغيير الناجح لا بدّ أن يسبقه انتشار الوعي الاجتماعي والدعوة السلمية، ولهذا يرى النورسي عدم جواز الجهاد المسلح الداخلي الموجه إلى حكام المسلمين، فالجهاد المسلح في نظره لا يحشد إلا ضد العدو الخارجي. وإلا سيؤدي الأمر إلى سفك دماء المسلمين. بينما الجهاد الداخلي في مجتمع مسلم في نظرة النورسي يتمثل في تنوير الأفكار وإصلاح القلوب والأرواح.

b. الأولوية في الفقه والفهم

على الرغم من أن النورسي قد درس التصوف بعمق، ودار في كتابته كثير من مصطلحات التصوف كالغناء في الشيخ والغناء في الرسول، إلا أنه يرى أن الطرق الصوفية في عصره لا يمكن أن تقف أمام الهجوم المشكك في الإسلام، وذلك لأن الطرق الصوفية يكون الاعتماد فيه على التجربة الذاتية. وهذا الأمر مخالف لصفة عصر العلم الذي يكون الاعتماد فيه على إدراك الحقائق على البراهين المنطقية والحجج العقلية والأدلة العلمية.

ولهذا، من مظاهر وسطية النورسي في المنهج أنه يرى أن العمل على إنقاذ الإيمان في عصره أولى من اتباع الطرق الصوفية. فقال: "إن هذا العصر ليس بعصر تصوف وطريقة، وإنما هو عصر إنقاذ الإيمان." وقال في موضع آخر: "ثم إن ما في درس رسائل النور للحقائق من علم الحقيقة الذي يمنح فيض الولاية الكبرى النابعة من سرّ الوراثة النبوية، لا يدع حاجة إلى الانتماء إلى الطرق الصوفية خارج الدائرة." وقال أيضاً: "إن الشغف بالطرق الصوفية التي نفعها قليل لنا في الوقت الحاضر واحتمال إلحاقها الضرر بوضعنا الحالي ممكن."

ولخصّ النورسي فقهه الأولوي بشأن العلاقة بين إنقاذ الإيمان واتباع الطرق الصوفية بقوله: "لا يمكن دخول الجنة من دون الإيمان، بينما يدخلها الكثيرون جدا دون تصوف. فالإنسان لا يمكن أن يعيش دون خبز، بينما يمكنه العيش دون فاكهة. فالتصوف فاكهة، والحقائق الإسلامية خبز."

من خلال هذا المنهج الوسطي، يصحح النورسي ما يتصوره قسم من المتصوفة أن الشريعة قشر ظاهري، وحقيقتها هي لبها ونتيجتها وغايتها. ومن المعلوم، أن انكشاف الأحكام الشرعية يتنوع ويختلف وفقاً لمستويات الناس وفهمهم وطبقات مداركهم، فما يظهر وينكشف منها للخواص هو غير ما يظهر وينكشف للعوام. فالشريعة لها مراتب متوجهة إلى مختلف طبقات البشر.

ومن مظاهر الأولوية في فقه النورسي وفهمه، أنه يرى أن بقاء النساء في حياة العزوبة بلا زوج خير لها من أن تتزوج بزواج لم يترتب بتربية إسلامية. قال النورسي (الملاحق: 2000م): "النساء يجب عليهن أن لا يعين أنفسهن رخيصات، سفارات، كاشفات، عندما لا يجدن الزوج المؤمن الصالح ذالأخلاق الحسنة الملائم

لهنّ تماماً، بل عليهن البقاء في حياة العزوبة إن لم يجد ذلك الزوج الكفاء، حتى يتقدم لطلبها من يلائمها من تربي بتربية الإسلام."

ومن فقه الأولوية للنورسي أنه يرى أن بقاء السعادة الزوجية تعتمد بشكل كبير على تربية النساء تربية إسلامية ضمن نطاق الإسلام الشامل. قال النورسي (اللمعات: 2000م): "فالزوجة مثلاً، إن شاهدت فساداً في زوجها وخيانة منه وعدم الوفاء، فقامت كذلك بترك وظيفتها الأسرية، يختلّ عندئذٍ نظام الأسرة كلياً. فلا بدّ أن تسعى جاهدة لإكمال نقص زوجها، وإصلاح تقصيره، كي تنقذ صاحبها الأبدي. وإلا، فهي تخسر وتتضرر في كلّ جانب.

ومن فقه الأولوية للنورسي أنه يرى أن الأولى بالمرأة أن تسعى لكسب نفقاتها بنفسها، وهذا أفضل من أن تدفع تلك الحاجة إلى الرضوخ لسيطرة زوج نشأ على تربية غير إسلامية، واعتاد على الإكراه والفساد. على الرغم من ذلك، قيّد النورسي خروج المرأة للعمل بشروط، منها أن يكون في حدود الاحتشام وعدم التبرج، والالتزام لحدود الشرع، وأن يكون للضرورة التي تبيحها حدود الدين، وأن لا يتعارض ذلك العمل مع احتياج بيتها وأولادها لها. وعاب النورسي خروج المرأة على نظام المدينة الغربية، وقال بأن المدينة الحاضرة امتهنت كرامة النساء وجعلتهن متاعاً مبدولاً، وإن تكشّف النساء بدون قيدٍ قد أصبح سبباً لتكشّف أخلاق البشر السيئة وتناميها. (الملاحق: 2000م).

c. التدرج والمرحلية في البناء

إن الهدف الذي يسعى إليه النورسي من خلال كتابة رسائل النور ونشرها هو بناء الشخصية المؤمنة التي تتمتع بالإيمان والقيم الإسلامية الرشيدة. ولهذا، كتب النورسي رسائل النور ورتبها وفقاً لمبدأ التدرج والمرحلية في البناء.

يبدأ طالب النور بدراسة "الكلمات"، فيستيقن الإيمان ويستقرّ في قلبه، ثم ينتقل إلى دراسة "المكتوبات"، فيغترف منها أجوبة لكثير من الأسئلة، ويعيش من خلالها في صحبة رسول الله ﷺ، ثم ينتقل بعدها إلى دراسة "اللمعات"، فيعيش من خلالها مع الأنبياء عليهم السلام، ويأخذ حذره من الشيطان ومكائده وضلالات العلوم الحديثة، حتى يرقى في النهاية إلى تذوق معاني الأسماء الحسنى. ثم إذا رأى في نفسه خوفاً أو

تردداً أمام أهل الضلالة وملاحظتهم له، يبدأ بقراءة "الشعاعات" ودراستها، فيجد فيها البيان عن التوحيد الخالص، وأمور الدجال، وكيف الحجج الذي قدمها النورسي للدفاع عن التهم المزورة عليه في المحاكم. ثم إذا أراد أن يوسع مداركه حول فقه العمل، يجد القارئ بغيته في قراءة "الملاحق"، حيث يجد فيها الحديث عن سجن الأستاذ ومعتقلاته وفي ظروف مختلفة، كما يجد فيها الحث على العمل الدائب والشورى، ثم الحذر من مكائد أهل الضلالة والشيطان، وغيرها. ثم إن أراد أن يتعمق في فهم أسس الموازين الاجتماعية والسياسية العامة فعليه بقراءة "الخطبة الشامية". ثم يمكنه أيضاً قراءة "السانحات" و"مناظرات" من أجل أن يتمكن المؤمن من إقامة للموازين الدقيقة من وزن الأحداث حسب المفهوم الإيماني.

ولكن، لا يعني هذا أنّ كل قارئ لا يجوز أن ينتقل من مجموعة إلى أخرى إلا بعد مرحلة، وإنما يعني أن كل مجموعة لها نكتتها الخاصة بها، فيستحسن أن يقرأ المرء وفق المرحلة التي تناسبه.

ومن مظاهر التدرج والمرحلية في منهج النورسي الوسطي، أنه يرى أن مواجهة سلاح التجويع التي شنّه الأعداء لا بد أن تكون بخطوات مرحلية، ابتداء من تحقيق الرشد في الاستهلاك وعدم الإسراف، ثم غرس الإيمان بأن الرزق بيد الله، ولا موت من الجوع، ثم السعي لاستغلال مصادر الثروة الاستغلال الأمثل، ثم فرض الزكاة وتحريم الربا، والأخير هو التسلح بالتقوى.

يرى النورسي أن تحقيق الرشد الاقتصادي من ناحية العرض لا بد أن تكون من خلال خطوات مرحلية ومدرسة، وهي العمل الجاد، وكسب الرزق بطريق طبيعي كالصناعة والزراعة والتجارة. قال النورسي (صيقل الإسلام: 2000م): "أسباب فقر المسلمين وفتورهم الحالي تتمثل في نقطتين مهمتين؛ فتور في السعي وعدم الرغبة، والمعيشة على الوظائف الحكومية."

ويرى النورسي أن موجة الربا لا بد أن يبدأ من خلال مقاطعة البنوك الربوية تدريجياً، حيث قال النورسي (الكلمات: 2000م): "إن أبواب الربا ووسائله، هذه البنوك، إنما تعود بالنفع إلى أفسد البشر وأسوأهم وهم الكفار، وإلى أسوأ هؤلاء وهم الظلمة، وإلى أسوأ هؤلاء وهم أسفهمهم. إن ضرر الربا على العالم الإسلامي ضرر محض."

d. التكامل في السعي والعمل

يرى النورسي أن من أخطر الداء الذي يصيب الأمة الإسلامية في عصره هو اشتداد الخلاف بين طوائف المسلمين ومذاهبهم الفقهية والكلامية، مما أدى إلى شق صف الأمة، وتفريق كلمتها، وإضعاف قوتها. إن فشو الاستبداد الفكري والتعصب المذهبي، وشدة العداوات بسبب الجهل والحسد وضيق الأفق، في رأي النورسي هي العوامل الأساسية في أن يحل الاختلاف المذموم محل الاختلاف المحمود. قال النورسي: "إن معاصري مع الأسف، وإن كانوا أبناء القرن الثالث عشر الهجري، إلا أنهم تذكروا القرون الوسطى من حيث الفكر والرقي، وكأنهم فهرس ونموذج وأخلاط ممتزجة لعصور خلت من القرن الثالث إلى الثالث عشر الهجري، حتى غدا كثير من بدهيات هذا الزمن منهمة لديهم."

إن التكامل في السعي والعمل من خلال التعاون وجمع الشمل بين المسلمين مظهر بارز من مظاهر المنهج الوسطي في رأي النورسي. ولهذا بين النورسي أن هناك ستة داء قاتلة تحول دون تجمع المسلمين وتكاملهم في السعي والعمل، وهي: (أ) حياة اليأس، (ب) موت الصدق في حياتنا، (ج) حب العداوة، (د) الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض، (و) الاستبداد، (ف) حصر الهمة في المنفعة الشخصية.

ثم أكد النورسي على أهمية التعاون والتكامل في السعي والعمل بين المسلمين في مواجهة أعدائهم قائلاً: "إن هذا الزمن زمن الجماعة، فلو بلغ دماء الأشخاص فرداً فرداً حدّ الخوارق فلربما يغلب تجاه الدهاء الناشئ من شخص الجماعة المعنوي. إنّ مهمّة إيمانية جليّة لا تحمّل هذه المهمة على كاهل شخص واحدٍ ضعيف مغلوب ظاهراً، يترص به أعداء لا يعدون، وخصماء الداء يحاولون التنقيص من شأنه بالإهانات. فلو حملت وتزعزع ذلك الشخص العاجز تحت ضربات وإهانة أعدائه الشديدة لسقط الحمل وتبعثر."

ومن أجل تحقيق التكامل في السعي والعمل، دعا النورسي معاصريه إلى أن يجعلوا الاختلاف في النظر والاجتهاد سبباً لإظهار الحق، وازدهار المعرفة، وثناء الفكر الإسلامي. قال النورسي: "إن تصادم الآراء ومناقشة الأفكار لأجل الحق في سبيل الوصول إلى الحقيقة، إنما يكون عند اختلاف الوسائل، مع الاتفاق في الأسس والغايات. فهذا النوع من الاختلاف يستطيع أن يقدم خدمة جليّة في الكشف عن الحقيقة، وإظهار كل زاوية من زواياها بأجلى صور الوضوح."

فالتكامل عند النورسي يمكن أن يتحقق عندما يحترم كل طرف بما يراه مخالفه. يقول النورسي: "عندما تعلم أنك على حق في سلوكك وأفكارك، يجوز لك أن تقول: مسلبي حق أو هو أفضل، ولكن لا يجوز لك أم تقول: إن الحق هو مسلبي أنا فحسب، لأنّ نظرك الساخط، وفكرك الكليل لن يكون محكاً ولا حكماً يقضي على بطلان المسالك الأخرى."

ثم أضاف النورسي في موضع آخر: "عليك أن تقول الحق في كل ما تقول، ولكن ليس لك أن تذيع كل الحقائق. وعليك أن تصدق في كلّ ما تتكلمه، ولكن ليس صواباً أن تقول كلّ صدقٍ. لأنّ من كان على نية خالصة يحتمل أن يثير المقابل بنصائح فيحصل عكس المراد."

إن تطبيق النورسي العملي لهذا المنهج الوسطي في التكامل يتجلى في علاقة النورسي بدرويش وحداتي، أحد الأعلام البارزين في عصره. أسس درويش وحداتي جمعية الاتحاد المحمدي من أجل مواجهة مظاهر العداة للإسلام التي أقحمت في الحياة في تركيا. على الرغم من أن النورسي لا يتفق بهذه الجمعية التي غلب على طابعها طابع العنف والشدة، إلا أنه حضر الاجتماع الذي أعلن فيه إنشاء الجمعية، بل ألقى النورسي فيه خطبة نحو ساعتين حث الحاضرين فيه على التمسك بآداب الإسلام.

ثم لما أصدر درويش وحدتي جريدة وولقان، شارك النورسي بدعم تلك الجريدة بنشر مقالته فيها على الرغم من مخالفتها لمنهج درويش وحدتي. ومما كتبه النورسي في مقالته المنشورة في المجلة: "إلى أخي درويش وحدتي، إنّ الأدباء يجب أن يتحلوا بالأدب، ولا سيما الإسلامي، وليكن الضمير الديني هو الحارس لنظام المطبوعات."

(4) وسطية في التجديد والاجتهاد

اهتم النورسي كثيراً بموضوع التجديد والاجتهاد، بل إنه أفرّد رسالة خاصة عنونها برسالة الاجتهاد، حيث بين فيها ستة أسباب تحول دون ولوج باب الاجتهاد في هذا العصر. فهو ليس ممن يرفض التجديد ويغلق باب الاجتهاد مطلقاً، ولكنه لا يسمح لكل من هب ودب أن يدخل هذا الباب دون التسلح بالعلوم المطلوبة.

إن رسائل النور لا تكثر من إيراد مسألة فقهية ولو كانت جزئية خلافاً لآراء الأئمة المجتهدين مطلقاً، وذلك لأن المجتمع الذي يفقد أسس الإيمان وحرارة الانتماء، لا فائدة أن تحدثه عن تفاصيل الشريعة.

تتجلى وسطية النورسي في التجديد والاجتهاد في الأمور التالية:

a. الاتصال بالمصدر والمرجع

يرى النورسي أن التجديد لا يعني الانخلاع عن الأصالة والمصدر. فالمؤمن يجب أن يكون دائم الاتصال بمصدر القرآن والسنة في حياته. فأعداء الإسلام يحاولون دائم قطع العلاقة والصلة بين المؤمن وبين مصدره ومرجعه الأساسي وهو القرآن والسنة.

فقد أشار النورسي إلى دور إفسادي وإضلاحي الذي قام به منظمات سرية لايقاع الشباب والشابات ضحايا لهم، بتذليل سبل الشهوات أمامهم، وسوقهم إلى السفاهة والغواية. فقد أثاروا الشبهات حول فرضية حجاب المرأة، ووصفوه بأنه من سمات التخلف، فردّ عليهم النورسي بكتابه رسالة الحجاب، بين فيها أربع حكم لفريضة الحجاب.

فالنورسي يؤمن بمبدأ المحافظة على القديم الصالح والأخذ بالجديد النافع. ويتجلى ذلك كثير في رؤيته إلى كثير من المسائل المستحدثة، حيث إن رؤيته إلى المشروعية، وإلى نظام البرلمان، وإلى الجامعة الإسلامية، وإلى الرب العالمية الأولى والثانية، كل ذلك مبنية على التأصيل الشرعي من القرآن والسنة.

b. التواكب مع العصر

من ضمن مظاهر الوسطية في التجديد والاجتهاد أن يتواكب العالم والواعظ والداعي مع العصر الذي يعيش فيه بكل مشاكله وتحدياته. فيرى النورسي أن من ضمن الأسباب التي أدت إلى قلة تأثير الوعاظ في موعظتهم في عصره عدم تواكبهم مع العصر، حيث إن أكثر موعظهم لا توافق حاجات العصر.

يقول النورسي في صيقل الإسلام: "إنني استمعت إلى الوعاظ. فلم يؤثر في نصائحهم ووعظهم. فتأملت

في السبب، فرأيت أنه فضلاً عن قساوة قلبي، هناك ثلاثة أسباب:

1- إنهم يتناسون الفرق بين الحاضر والماضي، فيبالغون كثيراً في تصوير دعاويهم ومحاولين تزويقها دون إيراد

الأدلة الكافية التي لا بدّ منها للتأثير وإقناع الباحث عن الحقيقة، فالزمن الحاضر أكثر حاجة إلى إيراد

الأدلة.

2- إنهم عند ترغيبهم بأمر ما وترهيبهم منه يسقطون قيمة ما هو أهم منه، فيفقدون بذلك المحافظة على الموازنة الدقيقة الموجودة في الشريعة، أي لا يميزون بين المهم والأهم.

3- إن مطابقة الكلام لمقتضى الحال هي أرقى أنواع البلاغة، فلا بد أن يكون الكلام موافقا لحاجات العصر. إلا أنهم لا يتكلمون بما يناسب تشخيص علة هذا العصر، وكأنهم يسحبون الناس إلى الزمان الغابر، فيحدثونهم بلسان ذلك الزمان.

فعلى الوعاظ والمرشدين والمحترمين أن يكونوا محققين ليتمكنوا من الإثبات والإقناع، وأن يكونوا أيضاً مدققين لئلا يفسدوا توازن الشريعة، وأن يكونوا بلغاء مقنعين كي يوافق كلامهم حاجات العصر، وعليهم أيضاً أن يزنوا الأمور بموازين الشريعة.

يعدّ النورسي الداعي الجديد، والمصلح المجتهد الذي أدرك حاجات عصره، فبذل جهده ودعوته وصلاحه بما يتواءم مع عصره. فكل رسالة كتبها من مجموعة رسائل النور لها ميوتها الخاصة تعالج مشكلة معينة يواجهها المرء في حياته. فكل رسالة تخاطب صنفاً معيناً من الناس، وتحملهم إلى الشوق لقراءة رسالة أخرى. قال النورسي: "في هذا العصر الغريب، كما أن أهل الإيمان في أشد الحاجة إلى رسائل النور، وإن معلمي المدارس الحديثة بحاجة ماسة إلى "عصا موسى"، فإن علماء الشريعة كذلك ومعلمي القرآن الكريم هم في أشد الحاجة إلى "ذي الفقار"."

أشار النورسي من خلال كلامه السابق أن كتاب "عصا موسى" الذي يضم إحدى عشرة حجة من الحجج الإيمانية مع إحدى عشرة مسألة من رسالة الثمرة، يناسب أن يستفيد منه طلاب الجامعة، لأن هذا الكتاب كفيلاً أن يبطل به عمل سحرة الضلالة العلمية، وأن يفجر به ينابيع الإيمان، بينما علماء الشريعة يجدون بغيتهم في كتاب "ذوالفقار" الذي يضم "المعجزات القرآنية" و"المعجزات الأحمدية" و"رسالة الحشر".

c. التزام قيم الوسطية في الحكم:

الترم النورسي في حياته الجهادي قيم الوسطية في الحكم. ومن أهم مظاهر التزامه قيم الوسطية في الحكم ما يلي:

i. احترام القواعد الأساسية

النورسي يحترم القواعد الأساسية في الحكم. فهو يرى أن المستقبل هو مدرسة الأفكار بخلاف الماضي الذي هو مدرسة المشاعر المادية. قال النورسي (صيقل الإسلام: 2000م): "كان الإقناع الخطابي كافياً لإرشاد أهل الزمن الماضي، أما مصدر الإقناع في الزمن الحاضر هو الأفكار والعقل والحق والحكمة، مما ولد التحري عن الحقيقة وعشق الحق. لذا، لا يثبت المدعي بغير البراهين القاطعة. فأبناء الحاضر والمستقبل لا يشجع أذهانهم تصوير المدعي وتزيينه، بل يطلبون البرهان." من أجل ذلك، وضع النورسي (صيقل الإسلام: 2000م) أصولاً وقواعد لتصحيح منهج البحث العلمي، ولتكون منهاجاً يلتزم به الباحث الحق، حتى ينجح في الوصول إلى الحقيقة، وهي: (أ) أن يسير الباحث غور الموضوع، (ب) أن يتجرد من المؤثرات الزمانية، (ج) أن يغوص إلى أعماق الماضي للحصول على تجارب الآخرين، (د) أن يزن الأمور بموازين منطقية بحتة، دون تدخل العواطف، و (هـ) أن يفتش عن منبع ومصدر كل شيء في بحثه.

ii. التيسير في مسائل الفروع

عاش النورسي في العصر الذي يكون التمسك بالدين فيه والتزام التقوى والصالح كأنما يحاول المرء نقل جبلٍ أو يعاكس تياراً. وذلك لأن في عصره كانت القوة والغلبة للباطل والشر والفساد وإغراء الشهوات. ولهذا ليس من المنطق حمل المسلمين على العزيمة والتشديد في مسائل الفروع، كالإنكار الشديد على من يكشف الوجه والكفين من النساء، وتفسيق العلماء المجوزين لذلك، مع أن الغالب من نساء المسلمين اليوم التهنك إلى درجة البهيمية. ومن المعلوم أن جواز كشف الوجه والكفين هو مذهب معروف عن العلماء. (بوعود: 2006م).

إن من مظاهر التزام النورسي قيم الوسطية في الحكم أنه يميل إلى التيسير في مسائل الفروع. وكيف لا، فعصره هو العصر الذي ضاعت فيه القضايا الكبرى والمصالح الضرورية التي جاء الشرع بحفظها، فلا يصح أن يصرف جلّ الجهود إلى القضايا الجزئية التحسينية والتكميلية، وقد ضاعت الأصول الضرورية.

قال النورسي (سيرة ذاتية: 2000م): "ففي هذا الوقت الذي يتسم بالدمار الأخلاقي والروحي، وبإثارة هوى النفس الأمارة، وبإطلاق الشهوات من عقالها، تصبح التقوى أساساً عظيماً جداً، بل ركيزة الأساس، وتكسب أفضلية عظيمة من حيث إنه دفع للمفاسد وترك للكبائر، إذ أن درء المفاسد أولى من جلب المنافع، قاعدة مطردة في كل وقتٍ. وحيث إن التيارات المدمرة تتفاقم في هذا الوقت، فالذي يؤدي الفرائض ولا يرتكب الكبائر ينجو بإذن الله، إذ التوفيق إلى عملٍ صالحٍ مع هذه الكبائر المحيطة أمر نادر جداً. إن عملاً صالحاً، وإن كان قليلاً، يغدو في حكم الكثير ضمن هذه الشرائط الثقيلة والظروف العصيبة."

إنَّ أوجب الواجبات على المسلمين اليوم هو حفظ دين الأمة، وحماية كيانها، وردّ شبهات أعدائها، والتصدي للطعنات الآتية من كل جهة، وليس تتبع عورات المسلمين، والإنكار على المقصرين والمخالفين في الفروع والجزئيات، والخطّ على من يتساهل منهم في ذلك. كيف يمكن أن يتصرف المسلمون بذلك، والعدو واقف على الثغور، ويغير المرة بعد المرة. إن مثل من يضع جلّ اهتماماته في البحث عن الاختلاف في مسائل الفروع والجزئيات، بين متساهل وبين متحرّ للاحتياط، كمثل من كان مع صديق له في بيت يأمره ويعظه، فأغار عليها عدوّ لها يريد افتتاح البيت عليها، فجعل الصديق يتأهب للدفاع، ومكث هو يأمره بوجوب تحسين مظهره وتجميل ثيابه، فشغله حتى اقتحم العدو وأجهز عليها.

إن الاشتغال بالأمر المختلف فيها بين المسلمين في عصره، رغم وجود الخطر الداهم، اعتبره النورسي مرضاً اجتماعياً خطيراً الذي يجب على الأمة معالجته بسرعة. قال النورسي (المكتوبات: 2000م): "فيا معشر المؤمنين، أتدرون كم يبلغ عدد عشائر الأعداء المتأهبين للإغارة على عشيرة الإيمان؟ إنهم يزيدون على المائة، وهم يحيطون بالإسلام والمسلمين كالحلقات المتداخلة. فبينما ينبغي أن يتكاتف المسلمون لصد عدوانٍ واحد من أولئك، يعاند كل واحد وينحاز جانباً، سائراً وفق أغراضه الشخصية، كأنه يمهد السبيل لفتح الأبواب أمام أولئك الأعداء، ليدخلوا حرم الإسلام الآمن. فهل

يليق هذا بأمة الإسلام؟ فأفق أيها المسلم، واعلم أن زعزعة قلعة الإسلام الحصينة بحجج تافهة وأسباب واهية خلاف للوجدان الحيّ وأي خلاف، ومناف لمصلحة الإسلام كلياً، فانتبه."

والجدير بالذكر، أن النورسي يُعدّ من أوائل الدعاة إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية، وخاصة بين السنة والشيعة. قال النورسي (اللمعات: 2000م): "فما ينبغي للشيعة أن يجابوا أهل السنة بالعداء تاركين الخوارج والملحدّين، الذين هم أعداء الشيعة وأهل السنة معاً." ثم نادى أهل السنة والشيعة إلى العمل معاً، قائلاً (اللمعات: 2000م): "ارفعوا هذا النزاع الذي لا معنى له ولا حقيقة فيه، وهو باطل ومضرّ في الوقت نفسه. وإن لم تزيلوا هذا النزاع، فإن الزندقة الحاكمة الآن حكماً قوياً تستغلّ أحدكم ضدّ الآخر، وتستعمله أداء لإفناء الآخر، وبعد إفناءه تحطّم تلك الأداة أيضاً. فيلزمكم نبذ المسائل الجزئية التي تثير النزاع، لأنكم أهل التوحيد بينكم مئات الروابط المقدسة الداعية إلى الأخوة والاتحاد."

d. التفاعل دون ذوبان الهوية

لا يتفاعل النورسي في أن يتفاعل المؤمن بالأوروبيين. فالأوروبيون في رأيه ليسوا على وتيرة واحدة. فهناك أوروبا النافعة للبشرية، التي أدت خدمات لحياة الإنسان الاجتماعية، بما توصلت إليه من صناعات وعلوم، وتخدم العدل والإنصاف. فهذا النوع من أوروبا حث النورسي المسلمين التفاعل والاستفادة منها وبناء الحوار معها. وهناك أوروبا الضارة التي فسدت بالمدادية، وحسبت سيئات الحضارة حسناً لها، وسأقت البشرية إلى السفاهة. فهذا النوع الثاني من أوروبا لا بد من الحذر منها حتى لا يتأثر المسلمون سلبياً بها.

يرى النورسي أن السبب الأساسي الذي أدى النوع الثاني من أوروبا إلى التعاسة ليس هو الجهل، بل سببه هو الذكاء، الذكاء الذي ينفصل عن الإيمان، فنصب الأوروبيون أنفسهم في مقام الألوهية بدلا من الله، بل أنكروا وجود الله، ودعوا إلى فصل الدين عن الحياة. ولهذا لا ينبغي للمسلمين أن تذوب هويتهم الإسلامية في أثناء تفاعلهم مع الأوروبيين.

يؤمن النورسي بمبدأ اللقاء حول المشترك. فحجم الخطر الذي يهدد مسار الإنسان بشكل عام، في نظر النورسي، لا يصلح في التعامل معه إلا من خلال التفاعل الإيجابي مع كلّ من يعينهم أمر هذه التحديات، فيمد

الجسور مع الجميع، سواء من المسلمين أو غير المسلمين. قال النورسي (الملاحق: 2000م): "في الوقت الحاضر، يجب الاتفاق ليس فقط مع الإخوة المسلمين، بل مع الروحانيين المتدينين من النصارى، وعدم الالتفات إلى مسائل الاختلاف وعدم الخوض في المنازعات، وذلك لأن الكفر المطلق يشقّ هجومه".

دعا النورسي البابا إلى الحوار من خلال برقية جوايية لتوثيق الصلات، تمهيداً لما بعدها من تقاب وودّ. وقد جاءه البرقية من الفاتيكان بتاريخ 22 فبراير 1951 م تبين بوصول كتاب "ذوالفقار" إلى مقام البابا وسروره بالحصول عليه، وشكره واحترامه له.

إن التعامل والتفاعل مع الآخرين دون ضياع الهوية وذوبان الشخصية يحتاج إلى أن يتسلح المؤمن بسلاح العلم قبل أن يدخل في التفاعل. حينما يتفاعل المؤمن بغيره قد يجري الحوار بينه وبين غيره حول التوحيد، وصدق نبوة محمد ﷺ، وصدق القرآن، و عالمية الإسلام في تشريعه. علاوة إلى ذلك، أثناء تفاعله بغيره، يتطلب من المؤمن الشجاعة في القول بالحق، والتخلي بالحكمة والأدب والأخلاق.

قال النورسي (المثنوي العربي النوري: 2000م): "علم، يا من يشتغل بالمناظرة مع الملحدّين والمتشكّكين والمقلّدين للزنادقة الأوروبيين، أنك على خطرٍ عظيم إن كانت نفسك غير مزكاة، لاجل إلحاق نفسك شرّاً وتدرجاً من حيث لا تشعر بخصائلك". ثم قال: "إن الكفار، لا سيما الأوروبيون، ولا سيما شياطين إنكلترة وأباليس الفرنك، خصماء معاندون أبداً للمسلمين وأهل القرآن".

على الرغم من علو مكانة الحوار مع الآخرين في نظر النورسي، إلا أنه يرى أن الحوار لا يصلح أن يجري مع جميع الناس. فهناك صنفان من الناس لا ينفع الحوار معهم، أولهما المصرون على كفرهم وعنادهم، وهم رجال الدين والمنصرّين واليهود الصهاينة، وثانيهما المستعمرون وطلّاع جنودهم من المبشرّين وأكثر المستشرقين، واليهود عموماً.

e. التسامح

من أمعن النظر في رسائل النور، يجد أن فيها قسمين من المعارضين الذين يواجهم النورسي في رسائله. القسم الأول هم المعارضون من أهل الضلالة الذين يعارضون الحقائق الإيمانية ويرفضها، ويصدون عنها

ويجاربونها بشتلا الوسائل. فالنورسي وجه لهذا القسم من المعارضين هجوماً عنيفاً بدحض أباطيلهم، وتفنيدهم اتهاماتهم الباطلة، ولا ينسى النورسي أن يذكرهم بنهاية وبيلة التي تنتظرهم سواء كان في الدنيا أو الآخرة. والجدير بالذكر، على الرغم من أن النورسي وجه إليهم هجوماً، إلا أنه لا يحدد أسماءهم على الأغلب، فأوصافهم معبرة في الرسائل مطلقة دون تقييد. فأكثر النورسي من ذكر وصف "أهل الضلالة"، "أهل السفاهة"، "المنافقون"، "أهل الكفر والزندقة"، وهكذا. ولهذا، لم يتمكن معارضوه من هذا القسم أن يجد ثغرة للتسلط على رسائل النور، على الرغم من أن هناك محاكمات زادت عن ألف، إلا أنه لم يتمكن أية هيئة تحقيقية من أن يجد مستمسكاً غير قانوني في رسائل النور. (الصالحى: 1996م)

حيثما نشر "الشعاع الخامس" الذي تناول فيه الأستاذ أوصاف الدخال، اتهمه معارضوه من القسم الأول هذا أنه يقصد به مصطفى كمال وأعوانه، إلا أنه بعد التحقيق والتدقيق قرر الخبراء أنه ليس فيه ذكر مصطفى كمال، إنما هو مجرد شرح بعض الأحاديث الشريفة حول الدجال وفتنة آخر الزمان.

أما القسم الثاني هم المعارضون من عداء الدين وشيوخ المتصوفة الذين يعارضون أفكار النورسي ومنهجه الوسطي. فالنورسي واجه هؤلاء بالدفاع وحده دون الهجوم، ودون التهوين من شخصياتهم، ولا من آرائهم. فأقصى ما يقوم به النورسي في هذا الصدد أنه يبين ما يراه صواباً من وجهة نظره دون التجريح على المخالفين. وهذا من مظاهر تسامحه في وسطيته في التجديد والاجتهاد.

من أجل غرس روح التسامح لدى عوام الناس، أشار النورسي إلى ضرورة اتباع منهج دفع السيئة بالحسنة وعدم الاسترسال في الردّ بمثل ما بدأ به من التجريح، وإنما يقابل بالإحسان، لعله يندم ويرجع إلى الصواب. قال النورسي (2000م): "العمل الإيجابي البتاء هو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يردّ إلى تفكيره أو يتدخل في عمله عداة الآخرين، أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلاً."

إنّ العداوة من الحساد أو الخصوم، في رأي النورسي، حاصلة لا محالة لكل من يسعى إلى البناء ويجاهد من أجل إعلاء كلمة الله، فعليه أن يتحلّى بالحكمة واليقظة. قال النورسي (2000م): "ما دمنا نعمل من أجل حقيقة هي من أهمّ الحقائق وأجلّها، فلا بدّ من أن نصمد بكمال المتانة والصبر تجاه جميع الولايات والمخن التي قد تنزل بنا، وأن نواجه بصدر رحب جميع مضايقات الأعداء. إذ من المحتمل جداً أن يحرك ضدنا علماء

متظاهرون بالتقوى، مخدوعون بأنفسهم، أو بتحريض غيرهم لهم. وتجاه موقف كهذا لا بد لنا من المحافظة على وحدتنا، وعدم تضييع الوقت معهم في الجدل الفارغ."

وقد أعمل النورسي قاعدة دفع السيئة بالحسنة حاكياً: "قبل سنتين ذكر مدير مسؤول في غياي كلمات ملفقة، فيها إهانة وتحقير لي دون سبب ومبرر. ونقل الكلام إليّ، وتألّمت ما يقرب ساعة بأحاسيس سعيد القديم، ثم وردت برحمته تعالى إلى القلب حقيقة أزلت ذلك الضيق، ودفعتني لأصيح عن ذلك الشخص. والحقيقة هي قلت لنفسي: إن كان تحقيري وما أورده من نقائص تخصّ شخصي ونفسي بالذات، فليرض الله عنه إذ أطلعني على عيوب نفسي. فإن كان صادقاً، فسوق يسوقني اعتراضه إلى تربية نفسي الأمانة وتأديبها، فهو إذا يعاونني في النجاة من الغرور. وإن كان كاذباً، فهو عون لي أيضاً للخلاص من الرياء، ومن الشهرة الكاذبة التي هي أساس الرياء. نعم، إنني لم أصلح نفسي قطّ، فإن نيهني أحد على وجود عقرب في أيّ جزء من جسمي، عليّ أن أرضى عنه، لا أغضب منه. أمّا إذا كانت إهائته تعود لكوني خادماً للإيمان والقرآن، فتلك لا تعود لي، فأحيل ذلك الشخص إلى صاحب القرآن، وإن كان كلامه لإجل تحقيري، فهذا أيضاً لا يخصني، وأهملت الحادثة واعتبرتها لم تقع ونسيتها."

خ. الخاتمة ونتائج البحث

- بعد جولة علمية حول مظاهر فقه الوسطية عند سعيد النورسي، يتوصّل الباحث إلى النتائج الآتية:
1. إن النورسي في جهاده الإصلاحية وحياته الدعوية يعدّ من ضمن أعلام المنهج الوسطي، فهو من أعمق المصلحين إيماناً، وأغرزهم علماً، وأصلبهم حماداً، وأمضاهم قلماً، وأشرفهم أسلوباً، وأوسطهم رؤية. فينبغي على الجيل الحالي الاقتداء بمنهجه الوسطي.
 2. إن فقه النورسي الوسطي يظهر في الأمور الأساسية بالاستقراء على سيرته وكتابته، ابتداء من وسطيته في العقيدة الموافقة للفطرة، ووسطيته في الفكر والحركة، ووسطيته في المنهج، ووسطيته في التجديد والاجتهاد. ومن هنا، يرى البحث بضرورة مزيد من الدراسة في بلورة فقه الوسطية من حياة الأستاذ النورسي.

د. فهرس المصادر والمراجع

سعيد النورسي (2000م)، **الكلمات** (ط3). ترجمة إحسان قاسم الصالحي. القاهرة: دار سوزلر للنشر.
سعيد النورسي (2000م)، **المكتوبات** (ط3). ترجمة إحسان قاسم الصالحي. القاهرة: دار سوزلر للنشر.
سعيد النورسي (2000م)، **اللمعات** (ط3). ترجمة إحسان قاسم الصالحي. القاهرة: دار سوزلر للنشر.
سعيد النورسي (2000م)، **الشعاعات** (ط3). ترجمة إحسان قاسم الصالحي. القاهرة: دار سوزلر للنشر.
سعيد النورسي (2000م)، **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز** (ط3). ترجمة إحسان قاسم الصالحي. القاهرة: دار سوزلر للنشر.

سعيد النورسي (2000م)، **المنثوي العربي النوري** (ط3). ترجمة إحسان قاسم الصالحي. القاهرة: دار سوزلر للنشر.
سعيد النورسي (2000م)، **الملاحق في فقه دعوة النور** (ط3). ترجمة إحسان قاسم الصالحي. القاهرة: دار سوزلر للنشر.

سعيد النورسي (2000م)، **صيقل الإسلام** (ط3). ترجمة إحسان قاسم الصالحي. القاهرة: دار سوزلر للنشر.
سعيد النورسي (2000م)، **سيرة ذاتية** (ط3). ترجمة إحسان قاسم الصالحي. القاهرة: دار سوزلر للنشر.
أحمد ابن فارس (1979م)، **معجم مقاييس اللغة**. بيروت: دار الفكر.

مُحَمَّد ابن منظور (د.ت)، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر.

إحسان قاسم الصالحي (1996م)، **بديع الزمان سعيد النورسي: نظرة عامة عن حياته وآثاره** (ط3)، الأستانبول: دار سوزلر.

سمير رجب مُحَمَّد (1995م)، **الفكر الأدبي والديني عند الناعية الإسلامي بديع الزمان سعيد النورسي** (ط2)، القاهرة: شركة سوزلر للنشر

محسن عبد الحميد (1994م)، **النورسي متكلم العصر الحديث**، بغداد: د.م

ناصر العمر (د.ت)، **الوسطية في ضوء القرآن الكريم**. الرياض: دار الوطن

يوسف القرضاوي (2011م)، **الكلمة في الوسطية ومعالمها** (ط3). القاهرة: دار الشروق.